بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

إن إعداد الأمة فرداً وجماعة ، والعمل على نقلتها السريعة من وضع متردّ إلى وضع أسمى وأفضل وأقوم ، ليس بالأمر الهيِّن اليسير ، بسبب إصرار الجهلة على ما ألفوه وورثوه ، وأُلفة الشيء تصبح جزءاً من العادة ، وداخلة في مكونات الطباع البشرية ، ولكن هذا الاتجاه الغالب أو الشائع ، لا يمنع بحكم تدرج الأمة من حال إلى حال ، وضرورة تحسين أوضاعها ، والنظر لمستقبلها ، أن تستيقظ فيها عوامل الخير ، وبواعث العقل والمنطق ، فتنفض عن كواهلها غبار التخلف ، وتستبعد ظواهر المرض .

لهذا جاءت الرسالات الإلهية الإصلاحية بوسائل العلاج والتربية ، وكان أهمها وخاتمتها وأخلدها رسالة الإسلام المتمثلة في القرآن الكريم ، الذي حوَّل طاقات الأمة العربية وبدّل أحوالها ، ووجهها توجيهاً عالياً وقويماً ، فانتقلت من حال الضعف إلى القوة ، ومن المرض إلى الصحة ، ومن التخلف والتفرق والضياع إلى ذروة التقدم والوحدة والوئام والتعاون ، حتى صارت خير أمة أخرجت للناس .

وكان ذلك بفضل التوجيه الإلهي في القرآن الكريم ، وجهود النبي العربي الهاشمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، في فن التربية والإعداد ، والبناء ، والتكامل العقدي والعبادي والأخلاقي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي .

ولم تقتصر إشعاعات التربية القرآنية على جانب دون آخر ، وإنما شملت بناء الذات الإنسانية ، وبناء المجتمع والأمة والدولة ، وأضْفَت على الحياة رونقاً وبهاء ، وجمالاً وإتقاناً ، عجزت كل محاولات الحكماء والشعراء والمصلحين أن تحقق معجزة الإصلاح المنشودة ، وما ذلك إلا لهذا التكامل التربوي وسياسته الحكيمة ، ووضع الأُطر والعواصم والبواعث الثابتة لنهضة الإنسان وأمته ، ثم الحفاظ على بقائه ، وحمايته من الذوبان والضياع والانهيار ، والبعد عن أصول التربية القويمة .

إن التربية إذن هي الحياة ، ولا حياة من دون تربية ، ولا تربية من دون دوافع وأهداف ، وكل ذلك تم في إطار التربية الإسلامية ، التي استخدمت كل وسائل الترغيب والترهيب ، والموازنة أو المقارنة ، والتي منها قول الله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥ـ٣٦] ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص : ٢٨] . ويشبِّه الله تعالى المتخلف أو المنحرف بالأعمى والظلمة ، والمتقدم والمستقيم بالبصير والنور . . الخ ، فيقول سبحانه : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ١٩ـ٢٢] .

إن أصول التربية في القرآن الكريم نجدها ماثلة بنحو جامع شامل في

هذا الكتاب الجيد وهو « فلسفة التربية في القرآن الكريم » للأستاذ الفاضل عمر أحمد عمر الذي بفصوله الستة وضع النقاط على الحروف ، وأحسن وجمع كل ما يتصل بهذا الموضوع الحيوي ، الذي يحتاج لوعيه وإدراكه والإفادة منه كل مسلم ومسلمة .

لقد وجدت حقاً في هذا الكتاب وفرة المعلومات والمعارف الفلسفية ، ورأيت غناها وتأصيلها المنهجي والموضوعي ، وقدرت عناية كاتبها بكل ما يحتاج إليه المربي المستهدي بوحي الله تعالى ، وأن هذه المعلومات بمثابة قارب مُلىء بالثروة النافعة لنقلها إلى الأجيال ، وكان الكاتب في كل ما حلل ودقق واضح التعبير زاخر البيان ، على الرغم من أن التعابير الفلسفية ـ كما يعلم كل قارىء ـ يكتنفها الكثير من الغموض والإجمال ، وعسر الفهم والإدراك ، ووضع إشارات الاستفهام والتساؤلات .

وأصبحت عُقَد الفلسفة ومصطلحاتها ، بهذا البيان المشرق ، وإيضاح معالم الطريق ، مذلَّلة جلية ، وسائغة المشرب هنية ، يتمكن كل مطلع عليها من جني الثمار النافعة ، واقتناص الصيود النادرة ، وتحقيق الفائدة الجلية .

كذلك أضحى عمق التحليل للأهداف والمجالات التربوية ، ودقة الموازنة بين النظريات التربوية الفلسفية وبين مقاصد الشريعة الإسلامية ، هو السمة البارزة في هذا الكتاب ، وفق الله الكاتب والطابع والناشر والقارىء ، لكل خير ، وأخذ بيد الجميع نحو ما يرضي الله تعالى ، ويسهم في تغيير أوضاع أمتنا ، من طريق التربية الهادفة أولاً ، والعمل والتضحية وتصعيد الطاقات ثانياً ، لبناء مستقبل مشرق ، وغدٍ باسم حافل بالآمال الكبار ، لأمتنا المجيدة .